CC BY NC SA

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقياس: الميتافيزيقا

الدرس السابع

الميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة

الأستاذ المدرس

الاسم واللقب	الرتبة	الإيميل
عقبة جنان	أستاذ	okba.djenane@univ-biskra.dz

الطلبة المعنيون

القسم	السنة	التخصص
العلوم الإنسانية والاجتماعية	3 ليسانس	فلسفة

مخرجات الدرس:

يتعرّف الطالب على أهم التحولات التي شهدتها الميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة، من نقد ماهيتها التقليدية إلى إعادة بنائها عبر المنعطفين الوجودي واللغوي، يميز بين مقاربات هايدغر (نقد الميتافيزيقا)، كواين (عودة الميتافيزيقا التحليلية)، دريدا (تفكيك البنية الميتافيزيقية)، وميرلو-بونتي (أنطولوجيا التجسّد). يكتسب القدرة على تحليل المفاهيم الحديثة للكينونة، والوجود، والواقعية الجديدة، وتوظيفها في قراءة الإشكالات الفلسفية الراهنة.

مقدّمة

القرن العشرون شهد تحوّلات جذرية في مصائر الميتافيزيقا :(metaphysics) من محاولة إحيائها وإعادة قراءتها إلى نقدها الجذري وإلغاء بعض مفاهيمها التقليدية، وصولاً إلى إعادة بناءٍ من مناظير ظاهراتية (phenomenology) ولغوية (linguistic turn)ونقدية .(deconstruction) هدف هذه المحاضرة هو **تتبُّع المحاور الأساسية** التي أعادت الفلاسفة المعاصرون تفكيكها أو إعادة صياغتها، مع إبراز المواقف المتعارضة عند: هايدغر(Heidegger) ، كواين(Quine) ، ميرلو-بونتي(Merleau-Ponty) ، ديريدا(Derrida) ، وبِرتراند سترونسون .(P. F. Strawson) سنوضّح: (1) ما الذي عُدِّل أو نُفي من الميتافيزيقا التقليدية؟ (2) أيّ تعريفات جديدة طُلِبَ بها للمفهوم؟ و(3) ما تأثير هذه التحويلات على ماهية «الوجود « (ontology)وفكرة «الجوهر (substance) «والذات(self) ؟

سياق النقاش المعاصر: الأزمة والانتقال

مع مطلع القرن العشرين ظهرت حساسيّتان متعارضتان:

- **إحياء ميتافيزيقى وجودي** :محاولة لاسترجاع سؤال الـ«كينونة (Being) «بعمق وجودي-وجودي-existential) (ontologicalكما عند هايدغر.
- **النقد التحليلي/اللغوي** :نزعة إلى تحويل مسائل الميتافيزيقا إلى مسائل لغوية ومنطقية قابلة للفحص التجريبي أو التحليلي.(analytic philosophy)

هاتان التوجّهتان شكّلتا محور الجدال: هل الميتافيزيقا «مطلب عقلاني مشروع» أم «مخاطبة فارغة» نتيجة اللبس اللغوي؟

هايدغر: إعادة طرح سؤال الكينونة (Being) بوصفه مشكلة أساسية

هايدغر لم يُعالِج مجرد موضوعات ميتافيزيقية تقليدية؛ بل أعاد طرح **السؤال الوجودي عن معنى الكينونة** (the question of Being)عبر تحليل وجود الإنسان «الوجود-الموجود» أو الـ Dasein(وجود-هناك). عنده، الميتافيزيقا التقليدية أخفقت لأنّها نسيت سؤال «ما معنى أن يكون الشيء» ووظّفت مفاهيم جامدة بدل الكشف عن التجلّيات الحيّة للكينونة .(Heidegger, *Being and Time*, Macquarrie & Robinson, 1962, p. 32) النتيجة البيداغوجية: لا تهدف الميتافيزيقا عند هايدغر إلى بناء نظام من المقاطع النظرية بقدر ما تهدف إلى **تحليل أنماط الوجود المعيّنة** (being-in-the-world)وإظهار كيف ينسحب معنى «الوجود» عبر الزمن (temporality) وتجليات الوجود البشري.

مثال مبسّط :بدلاً من السؤال «ما هي الجوهرية؟» يسأل هايدغر كيف يظهر لنا «الشيء» في خبرة معيّشة، وكيف يُفضي تأمّلنا في الموت والوجدانيّة إلى فهم جديد لمعنى الوجود.

(اقرأ: Heidegger, *Being and Time*, Macquarrie & Robinson 1962, تناولٌ ثانوي :للتمهيد والتحليل Wrathall, *Heidegger and Unconcealment*).

التحوّل اللغوي والتحليلي: كواين ونقد الأصول الميتافيزيقية التقليدية

في الجناح التحليلي، جاء قطيعة جذرية مع بعض افتراضات الميتافيزيقا: أهم مثال هو مقال **W. V. O. Quine** (1951) «Two Dogmas of Empiricism»الذي هدم التفرقة الواضحة بين الحقائق «التحليلية» و«التركيبية « (analytic/synthetic)وأدان فكرة أن هناك جملًا ذات معنى مستقلًّا عن حقائق العالم .(Quine, 1951, p. 20) قنُعُه: المعارف مترابطة كلّياً(semantic holism) ؛ أي أن أي طرح ميتافيزيقي يجب أن يخضع لاختبارٍ تجريبي بصيغته العملية لأنه جزءٌ من شبكة اعتقاداتنا الكلّية.

النتيجة: صعّب هذا المنهج إقامة ميتافيزيقا «ما وراء الطبيعة» قائمةً على مقولات غير قابلة للاختبار أو الفحص المفهومي الدقيق.

ملاحظة مفاهيمية Quine :لم يقُل إنّ الميتافيزيقا مستحيلة، بل إنه جعل مطلقيتها أصعب — أي: أي نظام ميتافيزيقي يحتاج إلى تبرير من داخل نظام الاعتقاد الكلّي واللغة والممارسة العلمية.

ميرلو-بونتي: إحياء الميتافيزيقا عبر الجسد والوجود المُدرك(Phenomenology of embodiment)

ميرلو-بونتي قدّم إعادة تعريفٍ ميتافيزيقيّة من داخل حركة الظاهراتية :(phenomenology) ركّز على **الجسد الحي** (the lived body)بوصفه شرط إمكان العالم، فقال: «الجسد هو وسيلتنا العامة لامتلاك عالمٍ ما (The body is « our general medium for having a world) (Merleau-Ponty, *Phenomenology of Perception*, trans. Colin .Smith, 1962, p. 146)هذا التوجّه يُعيد للميتافيزيقا بعدًا إجرائيًا ـ كيف يظهر الوجود «في الفعل» و«في السلوك» لا في تمثيلٍ تجريدي بحت.

بالتالي، الميتافيزيقا هنا تُعاد كدراسةٍ للعلاقات التشاكلية (organicity) بين الإدراك، الجسد، والوجود، بدل محاولة بناء «جواهر» مستقلة.

ديريدا: تفكيك (deconstruction) الميتافيزيقا والـ«لوغوسنطرية(logocentrism) «

ديريدا قدَّم نقدًا فلسفيًا بلاغيّاً ولغويّاً للميتافيزيقا من منظور ما بعد البنيوية، مركزًا على أنّ التراث الفلسفي غارق في ما سُمّي «اللوغوسنطرية :(logocentrism) «افتراض مركز أو حضور ثابت يُنظّم المعنى. في مقالته ,Structure» «Sign and Playدِرِدا يبين كيف تحوّلت فكرة المركز إلى وظيفة وهمية تُخفي تعدّد اللعب المتبادل بين العلامات (Derrida, *Writing and Difference*, 1978, pp. 278–293).

الآثار الميتافيزيقية: إذا كان المعنى دائمًا متأجّلاً ومبنيّاً على فرقٍ (difference) بين مؤشراتٍ لا وجود لها مستقلًّا، فإنّ الدعوى بوجود «جوهر» أو «ذات» مستقرة تصبح موضع تشكيكٍ جذري؛ وبالتالي تتعرّض الميتافيزيقا التقليدية للتفكيك.

(Strawson)سترونسون: العودة الوصفية للميتافيزيقا(Descriptive metaphysics)

مقابل النزعات «التغييرية» أو «النقدية» تأتي محاولة بيرتراند سترونسون للتمييز بين **الميتافيزيقا الوصفية (descriptive metaphysics)**والميتا فيزيقا «التغييرية .(revisionary metaphysics) «سترونسون يدعو إلى وصف البنى المفاهيمية الفعلية لتفكيرنا عن العالم—أي تسليط ضوءٍ على كيف نفكر فعلاً عن الأفراد والهوية والوجود—بدلاً من محاولة استبدال ذلك بنِظامٍ جديدٍ جذري .(Strawson, *Individuals*, 1959, p. 1) هذا المنهج يوفر أرضية وسطى، تحفظ للميتافيزيقا وظيفة وصفية ومنهجية دون الدخول في نزاعات تجريمية مع التحليل اللغوي أو النقد التفكيكي.

نقاط التقاء واختلاف: قراءة تراكمية

من خلال هذه الاختيارات الفلسفية المعاصرة نلحظ:

تحول المنطلق :من بناء أنظمة ميتافيزيقية كلية إلى اهتمام بالظواهر (Heidegger, Merleau-Ponty) أو باللغة والتحليل المفاهيمي (Quine, Strawson) أو تفكيك الآليات اللغوية للفهم.(Derrida)

تنوّع المناهج :لا مذهب موحّد؛ بل تراضح منهجيات: وجوديّ . ظاهراتي . تحليلي لغوي . تفكيكي.

تضاؤل الحماسة للجوهر :الانشغال بالـ«جوهر (substance) «التقليدي تقلّص لصالح دراسة شروط الظهور والتمثّل والمعنى.

خاتمة

الميتافيزيقا في الفلسفة المعاصرة لم تمت؛ بل تغيّرت وتعدّدت أساليبها. بعض التيارات أعادت طرح السؤال الوجودي بعين جديدةHeidegger) ، (Merleau-Ponty، وبعضها جعلت الميتافيزيقا عرضة لتدقيقٍ لغويّ منطقيّ صارم Quine)، (Strawson، فيما انخرط آخرون في تفكيك البنى اللغوية التي سمحت بظهور مفاهيم ميتافيزيقية ثابتة .(Derrida)النتيجة البيداغوجية للطالب :**فهم أن الميتافيزيقا اليوم هي ظاهرة متعددة الأوجه**—تعنى بكيفية ظهور الوجود وفهمه، وبتحليل شروط إمكان المعرفة واللغة، وكذلك بمساءلة الافتراضات اللاّناظِرة التي لطالما أعطت لميتافيزيقاٍ قديمة قوة ادِّعاءها.

ببيوغرافيا:

مراجع أساسية:

1. Heidegger, Martin. *Being and Time* (Sein und Zeit). Translated by John Macquarrie & Edward Robinson. Harper & Row / Blackwell, 1962. — (اقتباس: Macquarrie & Robinson, 1962, p. 32).

2. Quine, W. V. O. “Two Dogmas of Empiricism.” *The Philosophical Review*, Vol. 60, No. 1 (Jan., 1951), pp. 20–43. — (اقتباس: Quine, 1951, p. 20).

3. Merleau-Ponty, Maurice. *Phenomenology of Perception*. Translated by Colin Smith. Routledge & Kegan Paul, 1962. — (اقتباس: Merleau-Ponty, 1962, p. 146).

4. Derrida, Jacques. “Structure, Sign and Play in the Discourse of the Human Sciences.” In *Writing and Difference*. Translated by Alan Bass. University of Chicago Press, 1978, pp. 278–293. — (اقتباس: Derrida, 1978, pp. 278–293).

5. Strawson, P. F. *Individuals: An Essay in Descriptive Metaphysics*. Methuen, 1959. — (اقتباس: Strawson, 1959, p. 1).

مراجع ثانوية:

6. Dreyfus, Hubert L. *Being-in-the-World: A Commentary on Heidegger’s Being and Time, Division I*. MIT Press, 1991.

7. Critchley, Simon. *Continental Philosophy: A Very Short Introduction*. Oxford University Press, 2001.

8. Rorty, Richard. *Philosophy and the Mirror of Nature*. Princeton University Press, 1979.

9. Moran, Dermot. *Introduction to Phenomenology*. Routledge, 2000.

10. Blackburn, Simon. *Being Good: A Short Introduction to Ethics* (for context on contemporary implications), Oxford University Press, 2001.